# البواعث الاجتماعية للاغتراب في شعر الشريف الرضي

أ.م.د.علي عبد رمضان
م.م.طالب ماهر فهد
جامعة البصرة-كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية

## ملخص البحث

إنَّ لشيوع العادات والتقاليد السلبية في المجتمع العربي ردة فعل من جانب الشريف الرضي تمثلت برفض هذا الواقع الاجتماعي والتغني بالمثال والأنموذج الذاتي والقومي وإحياء ماهو أصيل من تراث العرب عبر مفاهيمه السابقة، وإنَّ وجود الشريف الرضي في مجتمع مليء بالمتناقضات مجتمع قائم على السلبية والظلم دفع به إلى الاغتراب عن الناس وعن الأصدقاء والأقرباء ، فبعث لنا من صميم اغترابه شعراً اجتماعياً ينتقد فيه كثيراً من القضايا السلبية التي شاعت في المجتمع العربي في ذلك العصر، فقد كان هناك عدم توافق وانسجام بين الشاعر والأنماط الاجتماعية أدى إلى افتقاد الوحدة مع النظام الاجتماعي فحدث الانفصال. وعاش الشريف الرضي في تفاعل جدليّ يتمثل باصطدام وعيه ونهجه المتفرد في الحياة ، بالقوة الغالبة والمستبدة أولاً ، وبالشعب الذي فقد مقومات الأخلاق واللياقة بعد أنْ تكبل بقيود الوهم والضلال ثانياً . وأنَّ الوضع المتردي الذي عاشه الشريف الرضي عانى منه صراعاً قاسياً على مستوى الفكر والسلوك ، إذْ لم يستطع التأقلم والاندماج في ذلك المجتمع المنحل ، بعد أنْ أحسَّ بالحيف وضياع القيم ، فحاول التمرد ومصارعة الواقع المرير بما أتيح له من موهبة أدبية ، ومقدرة ذاتية .

**الكلمات المفتاحية : البواعث ، الاغتراب ، الشريف الرضي**

# Social Stimuli for Alienation in the Poetry of Al-Shareef Al-Radhi

Dr. Ali Abd Ramadan (Ph. D.)
Assist. Prof. Talib Mahir Fahad
University of Basra-College of Education for Human sciences
Arabic Department

## Abstract

Prevalence of negative habits and customs in the Arabic society led Al-Shareef Al-Radhi to reject that social reality and glorify the ideal self and national example and renew what is original of the Arabic heritage. The presence of Al-Shareef Al-Radhi in a community that is full of contradictions and based on negativity and injustice had led him to alienate from friends and relatives. Therefore, he sent us from the heart of his alienation a social poetry which criticized a lot of negative issues which prevailed in the Arabic society at that time. There had been a lack of consistency and harmony between the poet and the social aspects which led to the separation of the social system. Al-Shareef Al-Radhi who had a unique sense o life clashed with the ruling power first and with the society which lad lost morals and decency. The miserable situation that Al-Shareef Al-Radhi lived in made him suffer severely at the level of intellect and behavior. He couldn't accommodate and mix up with that deteriorated society after he felt the loss of values. So, he tried to revolt and wrestle the miserable reality with his literary gift.

**Keywords: Stimuli, alienation, Al-Shareef Al-Radhi**

## بواعث الاغتراب في شعر الشريف الرضي

إنَّ علاقة البواعث العامة بالاغتراب في الشعر تكمن في أنّ هناك فكرة شائعة في التحليل النفسي تذهب إلى أنَّ البيئة سواء أكانت سياسية أم اجتماعية أم فكرية تُحدث تأثيرات غير قليلة في إسباغ ملامح خاصة على شخصية الفرد [١]، ويرى علم النفس(( أنَّ الذات تنمو من تفاعل الكائن مع البيئة )) [٢]، لذا لا يمكن الاهتمام بالجانب الداخلي الذاتي كما لو كان هذا الجانب شيئاً معزولاً أو موجوداً في فراغ .

وقد كانت الظروف السياسية والاجتماعية والفكرية في القرن الرابع الهجري على درجة شديدة من التأثير في البنية النفسية لكثير من شعراء ذلك القرن ، وهذا لا يعني أنَّ هذه الظروف كانت على قدر من الانسجام والتكافؤ في ذلك العصر ، بل كانت متباينة كثيراً ، ففي الوقت الذي كانت فيه الظروف السياسية والاجتماعية تعيش حال اضطراب وتفكك وتشتت وانحلال ، كانت البيئة الفكرية والثقافية تعيش أزهى عصر من عصورها .

وما يعنينا من هذا أنَّ تلك الظروف ، بصرف النظر عن وضعها الخاص ، قد مثلت باعثاً لا يستهان به وحافزاً لا سبيل إلى إنكاره في زيادة انفعالات الشاعر وشعوره بالقلق والتوتر ، فضلاً عن الإحاسيس النفسية الأخرى من يأسٍ وألم واضطراب وحيرة وشك وارتياب وما إلى ذلك . وما من شك في أنَّ شاعرنا الشريف الرضي كان مذهبه الشعري حصيلة التزاوج بين انفعالات نفسه وما يموج به عصره ، وتنفعل به حياته من أحداث ، فقد كان يطلق العنان لعالمه الداخلي وبواطن ذاته كلما تأزم العالم الخارجي من حوله ، أو كان هذا العالم بعيداً جداً عمّا كان ينشد أو يطمح أو حتى يتوقع ، هكذا كان عصر الشريف الرضي ( القرن الرابع الهجري ) الذي أشعره بالعجز عن التكيف مع ذلك المحيط ، ومن ثَمَّ أثيرت انفعالاته الفردية ، كما أنَّ للمحيط أثراً لا يستهان به في تكوين شخصيته وتشكيلها وطبعها وفق الأحداث التي تدور رحاها في المجتمع .

وهذا التأثير يصفه الأستاذ جورج غريب وصفاً لافتاً للنظر قائلاً : (( إنَّ لقاحاً يتم بين عامل خارجي وبين طاقة داخلية فيحدث الأثر )) [٣]، وهذا عينه ما يحدث للشريف الرضي الذي كان للباعث الخارجي أثرٌ في اغترابه الشعري .

لذا سنسلط الضوء في هذا البحث على البواعث الاجتماعية للاغتراب في شعر الشريف الرضي :

## البواعث الاجتماعية للاغتراب في شعر الشريف الرضي

لمعرفة الكثير عن البواعث التي تسببت في اغتراب الشاعر لا بُدّ من إلقاء نظرة كاشفة على البيئة الاجتماعية التي تحيط به ، وتؤثر فيه ، وإنَّ علم النفس قد أولى أهمية كبيرة لمعرفة تلك البيئة ، إذْ إنَّ الفرد لايوجد إلّا في ظل مجتمع يكون هو جزءاً منه بصرف النظر عن لون أو طبيعة العلاقة التي تربطه بذلك المجتمع [٤].

وإنَّ الشاعر يملك موهبة ، تتأثر شدة فاعليتها باختلاف المجتمع الذي يحيطها ، وبدرجة التكيف معه .

ويبدو أنَّ اضطراب الأوضاع السياسية التي شهدها القرن الرابع الهجري ، قد أدى إلى سوء الأحـوال الاجتماعية في مختلف مناحيها ، من سوء توزيع الثروة ، وسعة الفوارق الطبقية ، وزيادة نسب الفقر ، وشيوع المجون والفحش [٥]. فضلاً عن تردي الجانب الأخلاقي في العلاقات الاجتماعية ، وذلك ما تحدث عنه أبو حيان التوحيدي بقوله : ((إنَّ الصداقة ، والألفة ، والأخـوة ، والمـودة ، والرعايـة ، والمحافظة ، قد نُبِذَتْ نبذاً ، ورُفِضَتْ رفضاً ، ووُطِئَتْ بالأقدام ، ولويت دونها الشفاه ، وصُرِفَتْ عنها الرغبات ))[٦]. ولعل من أسباب ذلك ضعف الوازع الديني لدى المجتمع بعامة .

وقد كان أصحاب السلطة الحاكمة آنذاك هم أولَّ المروجين للتحلل الأخلاقي والفساد بعد انغماسهم فـي الخلاعة والمجون والتهافت على اللذات الحسية والآثام ، وتصريحهم دون حشمة بفسـقهم ووصـف مجالسهم التي تحتوي على ألوان المقابح ضاربين بالأعراف والقيم الاجتماعية عرض الحائط ، ومـن ذلك مجاهرة عضد الدولة بالمحرمات قائلاً :

**ليس شربُ الكأس إلا فـي المطـر ... وغنـاءُ مـن جـوارٍ فـي السـحر**

**غانيـات سـالبات للنهـر ... ناغمـات فـي تضـاعيفِ الـوتر**

**مبـرزاتُ الكـأسَ مـن مطلعِهـا ... ساقياتُ الـراح مـن فـاق البشـر** [٧]

وعز الدولة أيضاً لا يختلف عن سابقه في أنّه لا يتحرج من ولعه بالغلمان وتغزله بأحدهم في مجلـس أنس له وأمام حاشيته وهو يقول :

**أشرب على قطـرِ السـماءِ القـاطرِ ... في صحنِ دجلةَ واعصِ زجـر الزاجـرِ**

**مشـمولة أيـدي المـراجِ بكأسـها ... دراً نثيـراً بـين نظـمِ جـواهرِ**

**من كفِ أغيـدَ يسـتبيك إذا مشـى ... بـدلالِ معشـوقٍ ونخـوةِ شـاطرِ** [٨]

ولقد تدهورت أحوال المجتمع في ظل الحكم البويهى ، وتردّت أوضاعه بشكل لافـت للنظـر حتـى وُصِفَ عصرهم بأنّه أسوأ العصور الإسلامية ، وقد كان للغلاء أثرٌ كبيرٌ في أحوال الناس ، اضطرهم إلى أمور لا تليق بهم [٩].

وفي سنة ٣٦١ه ضُرِبَ جانب الكرخ بالنار فاحترق ، وتلفت البضائع والدور والمسـاجد والـدكاكين، وتدخل أبو أحمد الموسوي والد الشريف الرضي وأظهر امتعاضاً كانت نتيجته صـرفه عـن نقابـة العلويين، وكذلك وبسبب هذه الفتن أُحْرِقَ الكرخ حريقاً ثانياً [١٠].

ولا بد للبحث هنا أنْ يقف عند الشريف الرضي مقروناً بوالده أبي أحمد الموسوي الـذي تقلـد نقابـة الطالبين وإمارة الحج ، وهذا يدل على منزلته الرفيعة لدى الخلفاء العباسـيين والملـوك البـويهيين ، وقدرته على إدارة أمور الطالبين ورعاية مصالحهم . وقد شهد له ابنه الشريف الرضي بـدوره فـي إخماد نار إحدى الفتن المذهبية في قصيدته التي قال فيها :



مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩

وَأقشَعتَ عَــنْ بَغْــدادَ يومــا دَوِيّــهُ إلى الآن باقٍ فــي الصّــبَا والجنائــبِ

ولَوْلاكَ عُلّــيْ بالجَمــاجِمِ سُــورُهَا وَخُنــدِقَ فيهــا بالــدّمَاءِ الــذّوَائِبِ[١١]

فالشريف الرضي قد وجد نفسه في ظل هذه الظروف الاجتماعية القاسية مثقلاً بالألم والحزن فليس من الممكن أنْ يعيش كريماً بمعزل عن الجماعة التي ينتمي إليها ، أو يقف من تلك الأحداث التي تلم بهــا موقف المتفرج ، فلا بد إذن أنْ يشارك في حياتها العامة ؛ لأنّه جزء من هذا المجتمع ، كــذلك فــإنَّ مكانته الاجتماعية تحتم عليه أنْ يكون في قلب تلك الاحداث ، فهو مضطر أنْ يألم لألمــه ، ويفــرح لفرحه، وينعم بنعيمه ، ويشقى بشقائه ، ومن هنا تتضخم معاناة الشريف الرضي وهو يرى الناس في عصره تداعت قيمهم الاجتماعية بإثر من الحضارة المادية التي تركت بصماتها واضحة جليــة علــى أخلاق الناس وكبلتهم بقيودها فكانوا عبيدها فهانت القيم والأعراف واستفحلت العاهــات والأمــراض الاجتماعية واستعبدت المادة الناس وأذلت رقابهم حتى هتف الرضي رافضاً هذه الروح المادية التــي ملكت نفوس الرجال وأذلتهم قائلاً :

أبَــا نَــزارٍ تُفْسِــدُ القَــوْمَ الــنّعَمْ غفّلَــكَ الوُجْــدُ ، وَزَكّــاني العَــدَمْ

تُــرَمّمُ المَــالَ ، وبــالعِرْضِ ثُلَــمْ إنّي ، إذا راحَــتْ عَلــى الحَــيّ الــنّعَمْ

رَاحَ عَلــى بَيْتــي الثّنَــاءُ والكَــرَمْ لا سَلِمَ المالُ ، إذا العِــرْضُ سَــلِمْ[١٢]

وتشغل هذه الظاهرة المؤلمة جانباً رئيساً من معاناته فتطول شكواه من الزمن الذي اضطره للعيش بين أناس أضاعوا سبيل المجد حين أضاعوا القيم ، فيقول فيهم شاكياً :

مَا أخطَأتــكَ سَــهَامُ الــدّهرِ رَاميَــةٌ فَمَا أبُــالي مِــنَ الــدّنْيَا بمَــن تَقَــعُ

النّاسُ حَوْلَكَ غِرْبــان علــى جِيَــفٍ بُلْهٌ عن المجدِ إن طــاروا وإن وقعُــوا

فَمَا لَنا فــيهِمُ ،إنْ أقبَلُــوا ، طَمَــحٌ وَلا عَلَيهِمْ ، إذا ما أدبَرُوا ، جَــزَعٌ[١٣]

فإنّ رفض الرضي لما آل إليه الناس في مجتمعه وتأكد الإحساس لديه أنَّ مجتمعــه قــد تفشــى فيــه الضعف والجبن ، وراح أهل عصره يسعون وراء غاياتهم، سالكين كل السبل للوصول إلى ذلك ، ولو كان ذلك على حساب مبادئهم وقيمهم أوجد هذه الشكوى المستمرة التي تَمُتْ إلى تفاصيل الواقع اليومي الذي ظل يواجهه . فطبيعة الرضي الخُلُقية التي صقلتها تربيته من جهة وما كان في المجتمــع مــن ظواهر سلبية من جهة أخرى أوجد هذا التناقض الحاد فكثرت شكواه وازداد حزنه[١٤]. فيكتنف الرضي شعور قوي بالانفصال عن المجتمع الذي يعيش فيه ، وهذا الشعور بالانفصال وعدم الانتمــاء أنتجــه المجتمع نفسه ، لذلك نراه يكثر من شكواه ويتوجع فيقول :

مَــا للزّمَــانِ يَعُقّنــي بِعِصَــابَةٍ تَجْفُو عَلــيَّ ، مَــعَ الزّمَــانِ ، وتَثقِــلُ



مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩

يَذْوي عَلـــى قَـــدَمِ اللّيَـــالي عَهُـــدها ... مِثـــلَ الأديـــم عَلـــى التّقَـــادُمِ يَنْغَـــلُ

وَدّ الحَلِـــيمُ شِـــفَاءَ دائِـــكَ كُلّـــهِ ... وَصَـــداقَةُ السّـــفَهَاءِ دَاءٌ مُعْضِـــلُ (١٥)

ولا يقتصر الأمر على هذه الشكوى التي يبثها بين الحين والآخر وإنمّا ينتهي به أحياناً إلى نمط مـــن السخرية المعبرة عن اليأس ؛ لنظرته السوداوية للناس ، وسيطرة هذا الإحساس على نفسه ، قائلاً :

حَسبيَ مِنْ رَعيِ الهَشيمِ المُجتـــوَى ... حَســـبيَ مِـــنْ وِرْدِ الأجَـــاجِ الكَـــدرِ

فَمَـــا أرَى إلّـــا سَـــوَاماً هُمَّـــلاً ... أوْ صُـــوَراً مَذمومَـــةً كَالصُّـــوَرِ (١٦)

ويبدو أنَّ هذه الظواهر الاجتماعية السلبية التي سادت المجتمع في ظل حكم بني بويه والتي كانت باعثاً لاغتراب الشريف الرضي لم تكن وليدة القرن الرابع الهجري ، بل هي ثمار بذور قد نمت فـــي هـــذه البلاد بالتدريج وتكامل نموها في هذا العصر ( عصر بني بويه ) ؛ لأنَّها وجدت ظروفاً ملائمة وبنيـــة صالحة قد تسببت في انهيار المجتمع الإسلامي وتفسخه (١٧)

وهذه السلبيات تبعث في نفسه حزناً وألماً ، ولعل النفاق والكذب اللذين أصبحا سمتين من سمات أغلب الناس في عصره أشد قسوةً على نفسه وباعثا لاغترابه إذْ قال :

أبـــىَ النّـــاسُ إلّـــا ذَمِـــيمَ النّفَـــاق ... إذا جَرّبُـــوا ، أو قَبـــيحَ الكَـــذِبْ

كِـــلابٌ تُبَصْـــبِصُ خَـــوْفَ الهَـــوَانِ ... وَتَنْـــبَحُ بَـــينَ يَـــدَيْ مَـــنْ غَلَـــبْ (١٨)

وقال أيضاً :

وَقَدْ قَطَعَ المَعـــرُوفَ بـــاللّومِ قـــاطِعٌ ... وَبَـــاعَ الثّنَـــاءَ الحُـــرَّ بالـــذّم بَـــائِعُ

فَلَمْ أَلْـــقَ إلّـــا مَـــاذِقَ الـــودّ كَاذِبـــاً ... يَسُفّ بِهِ مِنْ طَـــائِرِ الغَـــدرِ واقِـــعٌ (١٩)

وكان يغضب على المغتابين من الناس الذين حوله فيقول :

وَغِـــرّ آكِـــلٍ بالغَيْـــبِ لَحْمـــي ... وَإنّ لأكْلِـــــــهِ داءٌ عَيَـــــــاءَ

يُســـيءُ القَـــولَ إمّـــا غِبْـــتُ عنـــهُ ... وَيحُســـنُ لـــي التّجَمّـــل وَاللّقَـــاءَ

عَبَـــأتُ لَـــهُ وَسَـــوْفَ يَعُـــبّ فيهـــا ... مِـــنَ الضّـــرَاءِ آنِيَـــةً مِـــلاء (٢٠)

وما تفشى من المجتمع من جور وضلال قال فيه :

نحنُ في عُصْبَةٍ ترى الجَـوْرَ عَـدْلاً ... وتُســـمّي الضـــلالَ دارَ رشَـــادِ

في رِجَـــالٍ تَهـــزَا بوَفْـــدِ المعـــالي ... وَدِيَـــارٍ تسْـــطوُ عَلـــى الـــوُرادِ (٢١)

وهناك ظواهر سلبية أخرى تعمل على ترسيخ اليأس من انصلاح المجتمع كالبخل الذي قـــال عنه:



مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩

فَمِـــنْ أيْـــنَ نَبْلُـــغُ مَـــا نشـــتَهي وَمِـــنْ أيْـــنَ نَطْمَـــعُ فيمَـــا نُحِـــبْ

إذا المَـــالُ أصْـــبَحَ فـــي البَـــاخِلينَ فـــإنّ مُرَجّـــي الغِنـــى فـــي تَعَـــبْ (٢٢)

وشكا من خفر الذمة من أهل عصره فقال :

أنَـــا مِـــنْ أبْنائِـــهِ فـــي مَعْشَـــرٍ يَتَواصَـــــوْن بإخْفَـــــارِ الـــــذِّمَمْ

إنْ طَـــواني الغَيْـــبُ عَـــنْ ألحـــاظِهِمْ مَزّقُـــوا عِرْضَـــيَ تمزيـــقَ الأدَمْ (٢٣)

وفي شعره ما يؤكد على أنّه قد تحدث إلى الكثير من الناس لكنَّهم عذلوه ولاموه ، وكانوا يدعونه إلـــى أنْ يعيش حياته قانعاً بما آلتْ إليه الأمور . إلّا أنّه يأبى الاستسلام إذْ يقول :

وَأكْثَرُ مَـــنْ شَـــاورتُهُ غَيْـــرُ حَـــازِمٍ وَأكثرُ مَـــنْ صَـــاحبتَ غَيـــرُ المُوَافـــق

إذا أنتَ فَتّشْـــتَ القُلُـــوبَ وَجَـــدْتَهَا قُلوبَ الأعادي فـــي جُســـوْمِ الأصَـــادق

وَعِندِي مِنَ الـــوُدّ الـــذّي لا يَشُـــوبهُ لحَـــاظُ المُرَاثـــي أوْ كَـــلامُ المُنَـــافِق

أغُالِطُ نَفْسِي بَعْـــدَ مَـــرْأىً ومَســـمَعٍ وَلا أنظُـــرُ الـــدُنيَا بَعـــيْنِ الحَقَـــائِق

عَلى أنَنّي أدْرِي ، إذا كَـــانَ قَائِـــدي بقَائِي ، فإنَّ المَوْتَ لا شَكَّ سَـــائقِي (٢٤)

ومن هنا كان وضعه الاجتماعي أكثر مثاراً لحزنه وألمه بين أولئك الناس .

ثم ترتفع معاناة الشريف الرضي إلى حالة أكثر حزناً وأشد ألماً من معاناته التي عاناها من خذلان الناس عامة وهو خذلان الأصدقاء الذين التفت إليهم لعلّه يجد فيهم مايشد أزره ويعينه على بلواه .

فالصديق ذلك الشخص الذي يعول عليه في الشدة والمحنة ، ويؤنس به في الدعة والرخاء ، ويشارك في الأفراح ويواسي في الأتراح وهو من يستر العيب ويقدم النصح وينبه صديقه إذا أخطأ ويرشده إذا ضل ، ويحفظ السر ويقدم المشورة ويغفر زلات صديقه ، ويبتهج لرؤيته ، ويختلق له الأعـــذار فـــي غيبته وغيرها من الصفات التي يجب أنْ يتحلى بها الصديق والتي تحدثت عنها بعض المؤلفات(٢٥).

ويجعل الأديب أحمد أمين الصداقة فناً ويقول : (( والصداقة الصادقة علامة في الأخلاق ، إذ هي امتزاج الأرواح ، وتعانق النفوس ، وفيض من إخلاص ، ودرس في التضحية ، ومن تهيأت نفســـه للصداقة تهيأ للخير يفيضه على الناس ، وأدنى حدود الصداقة أنْ يسوءَك مايسوء صديقك ، وأنْ يسرك مايسره . وأعلاها ألا تعدْ نفسك شيئاً بدونه ، ولا يعد نفسه شيئاً بدونك ، وأنْ ينبض قلبك بما ينبض به قلبه ، وأنْ تتناغم مشاعرك ومشاعره ))(٢٦). فقد تميز الشريف الرضي في شعره عامـــة بتفـــرده بقصائد لامست وبكثرة موضوعات الصداقة والصديق ، والتي كشفت لنا ما يدور في نفسه وفكره في تشكيل ملامح الأنموذج الأسمى للصديق الذي ظل يبحث عنه الرضي فيفوز به حيناً ويخفـــق أحيانـــاً كثيرة ، وكثرة أبياته في هذا المعنى تعكس حياة الرضي الاجتماعية فعلاقاته متعددة الأنمـــاط بحكـــم

طبيعتة السمحة ونفسه الكريمة وما تقلده من مناصب رسمية ومكانته الاجتماعية ، يضاف إلـــى ذلـــك طموحه السياسي للخلافة إذ كان يوجب عليه إقامة علاقات واسعة .

ولأهمية هذا المعنى في نفسه فقد حمَّل الصديق حقوقاً ملزمة في طبيعة العلاقة بينهما ، فهو من يدافع عنه ويحميه بل ويضحي لأجله ولذلك يقول :

**رُب أخٍ لـــي لَـــمْ تلِـــدْهُ أُمّـــي ... يَنفـــى الأذَى عنّـــي ، ويَجلـــو هَمّـــي**

**ويَصْـــطَلي دُونـــيَ بِـــالمُلِمّ ... إذا دُعيـــتُ اشـــتَدّ ماضَـــي العَـــزْمِ**

**كَـــأنّ مَـــا قَـــالَ مُنَـــادٍ باســـمي** (٢٧)

ويؤكد هذا المعنى في قصيدة يفتخر بها في وصفه للصديق المحامي والمساعد إذا حلت به مصيبة ، بل وينتظر من الصديق ما لا ينتظره من القريب فيقول :

**مَـــنْ لـــي بـــهِ ، يـــا دَهْـــرُ ، وَالأ ... يّـــــامُ كَالحَـــــةٌ غِضَـــــابُ**

**إنَّ الصّـــــــدِيق مُشـــــــيَّعٌ ... إنْ جُـــــلَّ خَطْـــــبٌ أوْ خِطَـــــابُ**

**وَيَجُـــــودُ عَنْـــــكَ بِنَفسِـــــهِ ... وَالحَـــــرْبُ تَقْرَعُهَـــــا الحِـــــرَابُ**

**وَأخٍ حُرِمْـــــتُ الـــــودّ مِنْـــــ ... ـــــهُ ،وَبَيْنَنَـــا نَسَـــبٌ قُـــرَابُ**(٢٨)

كذلك هو في شعره كثيراً ما يتحدث عن الصديق الوفي ، والأخ الذي يخلص له الولاء ويكون رفيـــق درب نحو التغيير والإصلاح . كما في قوله :

**أمَـــا فـــي هَـــذِهِ الـــدّنْيَا نَجِيـــبٌ ... يُسَـــاعِدُني عَلَـــى حَـــرْبِ الـــدّهورِ**

**فَنَشْـــرَبُ آجِـــنَ الغُـــدرَانِ فيهَـــا ... إذا مَـــا الـــذُّلُّ حـــامَ علـــى النَّميـــرِ**(٢٩)

ويقول :

**أيَسمَحُ لي هَـــذا الزّمَـــانُ بِصَـــاحِبٍ ... طَوِيلِ نِجـــادِ السّـــيفِ مِـــن آلِ هاشِـــمِ**

**إذا أنَـــا شَـــيّعْتُ الحُسَـــامَ بِكَفّـــهِ ... مَضى عَزْمَ مَشـــبوحِ الـــذّراعِ ضُـــبَارِمِ**

**وإنْ ضَافَهُ الهَمُ النّزِيعُ رَمَـــى بِهَـــا ... نَزَائِـــعَ لا يُعلفـــنَ غَيـــرَ الشّـــكَائِمِ**(٣٠)

وبعد طول البحث يشعر الرضي بالتعب وعدم الجدوى من إيجاد الصديق الصادق إذ يقول :

**جَارَ الزّمَـــانُ فَـــلا جَـــوادٌ يُرتَجَـــى ... لِلنَّائِبـــاتِ ، وَلا صَـــدِيقٌ يَشْـــفقُ**

**وَطَغَى علـــيَّ فكُـــلُّ رَحْـــبٍ ضَـــيّقٌ ... إنْ قِلْتُ فيـــهِ ،وكُـــلُّ حَبـــلٍ يخنُـــقُ**(٣١)

والشريف الرضي ممن يحفظ الصداقة ويسهر عليها ، لكنه سيء الحظ لأنّ أصدقاءه يضيعونها ، وليس أكثر عذاباً للنفس الشريفة المرهفة الحس عندما تلمس ما في نفوس بعض الأصدقاء من شر كما يقول

:

بَلَــوْتُ وَجَرّبْــتُ الأخِــلاءَ مُــدّةً ، فــأكثرُ شــيْءٍ فــي الصّــدِيق مَــلالُ

وَمَــا رَاقَنــي مِمّــن أودُّ تَمَلّــقٌ ، وَلا غَرّنــي مِمّــنْ أحِــبُ وِصَــالُ[٣٢]

حتى أنّه بات غير متعجب من غدرهم ؛لأنّ أقرب الناس إليه في نظره غادر ، فإذن لم يكــن هنــاك العجب من غدر الصحاب كما يقول :

وَتَغْــدُرُ بــي الأقــاربُ والأدانــي فَــلا عَجَــبٌ إذا غَــدَرَ الصَــحّابُ [٣٣]

ولا يستبعد البحث من أنَّ ألاعيب السياسة وفساد البيئة الاجتماعية كانا عاملين رئيسين في مواجهتــه لهذه التجارب المرة التي أوقفته على حافة اليأس من جدوى هذه الآصرة الإنسانية النبيلة وعنــد تلــك الحال تدفقت قريحته بقصائد طافحة بالألم والشكوى من تلك النماذج الســلبية التــي واجهتــه فهــاهم أصدقاؤه يقبلون عليه إذا أقبلت الدنيا فإن هي أدبرت أدبروا ، فيقول :

وَأرَى الغَنــيَّ مُطَاعِنــاً بِثرَائِــهِ أعْــداءَهُ ، وَالمَــالُ قِــرْنٌ غَالِــبُ

يَشْكُو تَبَــذُلِيَ الصّــحَاب ، وَعَــاذِرٌ أنْ يَنْبُــذَ المــاءَ المُرَنَّــقَ شَــارِبُ [٣٤]

ويكشف أنَّ وجوده مرهون بالمادة فقط فيقول :

قــلَّ الصّــحَابُ ، فــإنْ ظَفِــر تَ بِنعِمــةٍ كَثُــرَ الصّــحَابُ [٣٥]

ويقول :

إذا قَلَّ مــالُ المَــرْءِ قَــلّ صَــدِيقُهُ وَفَارقَــهُ ذَاكَ التّحَــنّنُ وَالــوُدّ[٣٦]

وإذا ما وجد أنّه أضحى غريباً في مجتمع لا مكان فيه لمن يحمل في قلبه الصدق والوفاء ، صاح قائلاً :

كَفَى حَزَنَاً أنّــي صَــدِيقٌ وَصَــادِقٌ وَمــا لــيَ مِــنْ بَــين الأنَــامِ صَــدِيقُ

فكَيــفَ أرِيــغُ الأبْعَــدِينَ لخلّــةٍ وَهــذا قَرِيــبٌ غَــادِرٌ، وَشَــقِيقُ [٣٧]

وقد كان الرضي يعزو تلك الصفات الذميمة التي لمسها في بعض الأصدقاء إلى لؤم الأصول فلــذلك قرن بين لؤم الأصول وغدر الصديق فقال :

وَأوّلُ لُــؤمِ المَــرْءِ لــؤمُ أصُــولهِ وَأوّلُ غَــدْرُ المَــرْءِ غَــدْرُ خَلِيــلِ [٣٨]

وربما يعود السبب لقلة الأصدقاء الأوفياء لشخص كالشريف الرضي إلى عدم قدرتهم على التحلي بكل مايتحلى به من صفات والأكثر من ذلك هو صعوبة التمسك والمحافظة على هذه الصفات ولا سيّما في عصر كالذي عاش فيه الشريف الرضي الذي تباينت فيه الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية. لكن حياة الرضي لم تخلُ من الأصدقاء الذين كان يجد في صداقتهم السلوى التي تعوضه عــن تلــك الصداقات الزائفة وقد كانوا له قوة تسنده في سرائه وضرائه ، فكان لهم وفياً شديد التمسك بصــداقتهم

يذكرهم كثيراً في شعره ويحن إليهم في الحياة ويبكيهم بعد الممات ، ولولاهم لكانت حياته عبئاً ثقيلاً لا يُحتمَل .

وهكذا ظل الشريف الرضي يتمزق قلقاً وإحساساً بالاغتراب ، ويظل موزعاً بين صورة الصداقة كما يؤمن بها ، ويبديها للآخرين . وبين ما يراه أمامه من حقيقة ارتسمت بقيمها الهشة والأخلاق البائسة ، التي حدّدت علاقة الآخرين معه ، وموقفهم منه ؛ بسبب تقلب الأحوال بالشاعر .

كذلك فإنَّ علاقته ببني العباس بوصفهم أبناء عمومة دفعت الدكتور إحسان عباس إلى القول:(( أما ضَيْقهُ بالأقرباءِ عامة – في شعره – فهو يلمحُ في بعض الأحايين إلى العباسيين أنفسهم )) [٣٩].

وليس هذا الأمرُ بمستبعدٍ . فديوانهُ يغصُّ بشكوى مريرةٍ من الأقارب ومنها القصيدة التي يرثي بها نقيب العباسيين ، والتي يؤكّد فيها صلةَ القربى ويعاتبهم عتاباً رقيقاً يذكرهم فيه باتصال النَّسب ووحدةِ الدَّم، وإلى ما شاب علاقتهم من الأمور التي رافقت مسيرتهم في الحياة ، إذْ يقول :

**ألسْنَا بَني الأعْمَامِ دِنْيَا تَمَازَجَتْ ... بِأَخْلاَقِهِمْ أَخْلاَقُنَا وَالضَّرائِبُ**

**جَميعاً نَمَانَا في رُبَى المَجْدِ هَاشِم ... وأنجَبَ عِرْقينَا لُؤي وغَالِبُ**

**..... .....**

**سوَى هَبَواتٍ شَابَتْ الوُدّ بيْنَنا ... وَأي ودادٍ لَمْ تَشُبْهُ الشَّوائِبُ** [٤٠]

ونجد في أشعاره التي يتحدث فيها عن الأقارب أنَّ بعضاً منها يتضمن معنى الضيق من غدر الأقارب ومن خداع الود الذي يظهره بعضهم فيقول :

**وَبَعضُ مَقالِ القَائلينَ مُكَذَّب ... وَبَعض وِرَادِ الأقْرَبِينَ خَدُوعُ** [٤١]

وكان الشريف الرضي قد ناصبَهُ أقاربه العداوة وكادوا له كيدا فعمق ذلك الحزن في نفسه مما دعاه إلى التصريح بقطع هذه العلاقات بحد السيف قائلاً :

**إذا أشِرَ القَريبُ عَليكَ فاقطَعْ ... بحَدّ السّيْفِ قُربَى الأقرِبَاء**

**وكُنْ إنْ عَفّكَ القُرَبَاءُ ممّن ... يَميلُ عَلَى الأخُوةِ للإخَاءِ**

**فَرُبّ أخٍ خَليق بالتّقالي ... وَمغتَرب جَدير بالصَفَاءِ** [٤٢]

ففي البيت الأخير – كما يتضح – أنَّ الرضي من شدة تألمه راح يستعين بالغريب الذي قد يكون جديراً بالعلاقة الحسنة وهكذا تراكمت مرارة الشريف الرضي وتفتحت نفسه بالجراح ، وهو يرى علاقته بالأقارب مبنية على البغض والتحاسد مما أشعره ذلك بالاغتراب بين أهله وأقاربه فقال :

**وَمَا النّفسُ في الأهلِينَ إلاّ غَرِيبَةٌ ... إذا فُقِدَتْ أشكَالُهَا وَلَدَاتُهَا** [٤٣]

وبعد كل هذا الآسى ينتهي إلى نظرات تأملية عميقة تفيض بالحزن الذي يبعث الإحساس العميق بالتناقض بين المثال المفترض والواقع المفروض فهو يبين مدى شكواه ويوازن بين عداوة الأقارب وعداوة الأباعد فيقول :



مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩

لا تُنْكــرَنَّ مِــنَ الزّمَــانِ غريبَــةً ... إنّ الخُطُــــوبَ قلِيبُهَـــا لا يَنْـــزَحُ

للِــذُّل بَــينَ الأقْــربينَ مَضَاضَــةٌ ... وَالــذّلُّ مَــا بَــيْنَ الأبَاعِــدِ أرْوَحُ

وَإذا رَمَتْكَ مِــنَ الرّجَــالِ قَــوَارِصٌ ... فسِهامُ ذي القُربَى القَريبَــةِ أجْــرَحُ(٤٤)

ويشكو لصديقه أبي إسحاق الصابي من أقاربه :

أُكرّرُ في الإخْــوَانِ عَيْنــاً صَــحيحَةً ... عَلى أعْيُنٍ مَرْضَــى مِــنَ الشَّــنَآنِ(٤٥)

فظلت نار الحزن والألم تستعر في نفس الشريف الرضي لتصل به إلى مَنْ له منزلة خاصة في نفسه ، ليخاطبه متخذاً من غرض العتاب وسيلة للتعبير عما يجول به خاطره ؛ كي يصلح ماشاب تلك العلاقة من وهن أو ضعف ، وفي ذلك يقول :

أقُــولُ لِهمّتــي لمّــا أبَــتْ لــي ... مُعاتبَــةَ المَلُــولِ عَلَــى الوِصَــالِ

أعَاتِبُــهُ لَعَــلّ العَتْــبَ يَشْــفي ، ... وَإنْ كَــانَ الــزّعيم بكسَــفِ بَــالي(٤٦)

فقد كانت علاقته في هذه المدة على غير الود مع أعز الناس إليه وهو أبيه ؛ لذلك يوجه خطابه إليه قائلاً:

رَضِيْتُ مِن الأحْبابِ دُونَ الّذي يُرضِي ... وَدانَيْتُ مَنْ تُقصَى الــدّيُونُ وَلا يَقْضــي

وَقَدْ أنْهــرَتْ فــيَّ اللّيَــالي جِرَاحَهــا ... مِرَاراً ، وأنضَاني مِنَ الهَمّ مــا يُنْضِــي

طوَى الــدّهرُ أسـبابَ الهــوَى عَــنْ ... وَحَلَّ الصَّبا عَقْدَ الرّحايلِ عَنْ نَقْضِي(٤٧)

إنَّ الرضي يخاطب أحباباً ترضى منهم نفسه ما لا ترضاه من غيرهم ، ولكن الليالي أثخنت فيه الجراح ، وأثقلت فيه الهم حتى بدا هزيلاً لا يقوى على المقاومة . وينزع إلى ذاته التي تراوده إلى حد التفكير في العقوق ، فيقول :

لَقَدْ أمستِ الأرْحامُ مِنّا عَلــى شَــفاً ... فَــأخْلِقْ بمُشْــفٍ لا يُعلّــل أنْ يقضِــي

رأيْــتُ مَخــيلاتِ العُقُــوق مَليحــةً ... فلا تجعلَنْ برْقَ الأذى صَادِقَ الوَمْضِ(٤٨)

فالشاعر هنا يقر بأنّه فقد توازنه وازداد شعوره بالاغتراب جراء فداحة الخطب وهل ثمة خطب أشد مضاضة من مقاطعة والده له على الرغم من قوة الآصرة بينهما ، ولكن الشاعر لا يلبث أنْ يعود إلى توازنه راغبا في العودة إلى حال الرضا فيقول :

أنادِيْكَ فَأرْجِعْ مِنْ قَريــبٍ ، فــإنّني ... إذَا ضَاقَ بي ذَرْعي مضيت كما تَمْضــي

لقَدْ كانَ في حُكمِ الوَشــائجِ لــوْ رَأى ... عَنِ المَجدِ بُطئي أن يُبالغَ في حَضّــي



مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩

فكَيْفَ ولَمْ تَخــرُجْ مَنــاديحُ هِمتــي وَلاذَمتِ العَلْيَاءُ بَسْــطي وَلا قَبْضِــي[٤٩]

وهنا الرضي يتوسل بأبيه أنْ يعجل في الرجوع عن مقاطعته ؛ لأنّه يخشى أن يضيق ذرعــاً فيبادلــه الأمر ، وهو يأمل في أبيه أنْ يسانده ويحضه على كل مسعى يسعاه . والشريف الرضي يختم قصيدته وهو يعاني مرارة الاغتراب واصفاً حالته النفسية التي يعاني فيها مشقة المواءمة بين شــدة وجــده ، ومكانة والده وحبه له ، فيقول :

**إذا اضْطَرَمَتْ مــابَيْنَ جَنْبــيَّ غَضــبْةٌ وكادَ فَمِي يُمضِي منَ القــوْلِ مــا يُمضــي**

**شفَعْتُ عَلَى نَفْسِي بِنَفْسِــي فكفكَفَــتْ مــنَ الغَــيْظِ وَاسْــتَعْطَفتُ بَعْضِــي عَلَــى**

وهو تعبير عن حيرته واضطراب مشاعره في أعماقه وتموجها وصعوبة الموقف الذي هو فيــه بــين الغضب المضطرم والفكر الرادع .

ويبدو لي أنَّ سبب خلاف الشريف الرضي مع أبيه هو محضر الطعن بالفاطميين الذين كثيرا ماكــان الشريف الرضي يهدد بالذهاب إليهم كلما ضاقت نفسه في العراق هذا المحضر الذي أنفــذه الخليفــة العباسي القادر بالله إليه مع أبيه وأخيه للتوقيع عليه فامتنع الرضي[٥١] ، والذي خلق وحشة كبيرة بــين أعمدة هذه الأسرة فتوترت العلاقات ، مما دفع بالرضي إلى القول :

**يُرِيــدُونَ أنْ يُخفُــوا النّــوَاقِرَ بَيْنَنــا وَقد صَاحتِ الأضْغانُ في الحدَقِ المُرْضِ[٥٢]**

وقد امتدت تلك المعاناة إلى علاقته بأخيه المرتضى وبذلك استقبل الرضي جرحاً من أبلغ الجروح في نفسه فازداد اغترابه في هذا المجتمع . فمن يصدق أنْ تجور الدنيا عليه وتذيقه كأس العلقــم وتتــوتر العلاقة بينهما إلى هذا الحد الذي يدفع بالشريف الرضي إلى كتابة قصيدة لأخيه المرتضى يقول فيها :

**أمسْــىَ علَــيَّ مَــعَ الزّمَــانِ أخٌ قَــدْ كُنــتُ آمُــلُ يَوْمَــهُ لِغَــدِ**

**مَــنْ كَــانَ أحنَــى عِنــدَ نَائبَــةٍ مِــنْ وَالِــدي وَأبَــرَّ مِــنْ وَلَــدي**

**لَــمْ يُثمــرِ الظّــنُّ الجَمِيــلُ بِــهِ فَقَدِي مِــنَ الظّــنّ الجَمِيــلِ قَــدِي[٥٣]**

فقد ضاعفت تلك الجفوة ثقل الإحساس بالاغتراب في نفس الشريف الرضي ولونت شــعره بــالحزن والألم ، فتلقى طعنة من أقرب أقربائه والذي بفقده يفقد الرضي النصير والمساند وكأنَّ ظهره أصــبح مكشوفاً لسهام الغدر من أعدائه وحاسديه ، لذلك يقول :

**أتَاني ، وَمَمْطُولٌ مِنَ النّــأي بَينَنَــا قَوَارِصُ تَنْبُو الجُفــونِ عــنِ الغَمْــضِ**

**وَمولى وَرَى قَلْبــي بلَذْعــةِ مِيسَــمٍ من الكَلِمِ العَوْرَاءِ مَضّــاً علــى مَــضّ**

**فَعُــذْراً لأعْــدائي إذا كَــانَ أقْرَبــي يُشذّبُ من عُودي وَيعْرقُ مِــنْ نَحْضِــي**

**إذا مَا رَمَى عِرْضي القَرِيبُ بسَــهمِه عذَرْتُ بَعِيدَ القَوْمِ إما رَمى عِرْضِــي[٥٤]**



مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩

وهناك من يرجع سبب تلك الجفوة بين الشريفين إلى تساهل الشريف الرضي الديني ، وذلك لأنّه رثى أبا إسحاق الصابي بقصيدة عامرة كانت من أشهر مراثي العرب والتي يقول في مطلعها :

**أعَلِمْتَ مَنْ حَمَلُــوا عَلَــى الأعْــوَادِ أرأَيْتَ كيْفَ خَبَا ضَــيَاءُ النّــادِي ؟**(٥٥)

فاستاء أخوه المرتضى منه لأنّه أنزل نفسه إلى منزلة رجل كافر خامل النسب ، واعترف له(بالنسب) والقرابة ، أي: إنّه جعله من أنسبائه وأقربائه ، واستعظم المرتضى أنْ يصبح حفيد النبي(نسيباً) لرجل غير مسلم ؛ لذلك حصلت جفوة بين الشريف الرضي وأخيه المرتضى لمدة طويلة بالرغم من الألفــة والمحبة الشديدة التي بينهما(٥٦).

ولا يستبعد البحث ما للسياسة من دور في ذلك ، فهي التي مدت يدها في ظلام دامس مــن أجــل أنْ تتوغل إلى علاقة الود بينهما فتغتالها . ولعل تقريب الرضي ووالده من البلاط العباسي للاستفادة منهما خلق وسطاً صالحاً لظهور الحساد والخصوم ، ولا يستبعد كذلك خلو الساحة من الوشــاة والمتلــونين وبهذا تكون السلطة الحاكمة قد أمنوا جانب عائلة الرضي من جهة وأكثروا من حسادهم ومبغضــيهم وأرادوا أنْ ينفذوا إلى علاقات العائلة فيما بينها من جهة أخرى . ولكن الشريفين كانا أرفع من أنْ ينال منهما واشٍ أو حاسدٍ ، فلذلك لم تطل الجفوة بينهما حتى كتب المرتضى قصيدة لأخيه الرضي قال فيها :

**هَلُمَّ نُعِدْ صَــفْوَ الــوَدادِ كمــا بَــدَا إعادَةَ مَن لم يُلْفِ عــنَ ذاكَ مِــن بُــدَّ**

**ونَغْتَــنِمِ الأيَّــامَ فهــيَ طَــوَائِشٌ تُؤاتي بلا قَصْــدٍ ، وتَــأبَى بلِــا عَمْــدِ**

**ومِثْلُكَ أهدَى أن يُقــادَ إلــى الهُــدَى وأرشَدُ أن ينَحازَ عَن جِهــةِ الرُشْــدِ**(٥٧)

فما كان من الرضي إلّا إنْ يجيب بقول لا ينبعث إلّا عن قلب خلا من كل حقد وابتعد عن كل لؤم .

**وأعظمُ ما ألفَيْــتُ شَــجْواً ولَوْعَــةً عِتــابُ أخٍ فَــلَّ الزّمــانُ بــهِ حَــدّي**

**ولاتَحْسَبَنّ القَلْــبَ جــازَتْ كُلُومــهُ إلى القَلبِ ،إلاّ بَعدَما حَــزَّ فــي الجِلْــدِ**

**منَحتُكَ ما عندي مِنَ الصَــدَّ مَعلِنــاً وَعَقْد ضَــمِيري أنْ أدُومَ عَلَــى الــوُدّ**

**وَقَدْ كنتُ أبغــي رُتْبَــةً بعــدَ رُتْبَــةٍ فآنفُ لي مــنْ أنْ أفــوزَ بهَــا وَحْــدِي**

**حِفاظاً على القُرْبَى الرّؤومِ وَغَيــرَةً على الحَسَبِ الدّاني،وَبُقيا على المَجدِ**(٥٨)

فالشريف في وجد لوعة في هذا العتاب الذي يحز في نفسه أكثر مما هو موجه إلى الآخر ؛ لأنَّ الآخر هو أخوه الذي يشاطره المحبة ، وقد صور طيب نفسه بعد الوئام قائلاً :

**وَفَارَقتُ ضِيْقَ الصّــدرِ عَنْــكَ إلــى كَمَا نَشَطَ المأسُورُ مِنْ حَلَــقِ القِــدّ**(٥٩)



مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩

فالود كامن في القلب والضمير ، راسخ في الأعماق ، مهما كان الظاهر يعلن عن الصد والجفاء، وهي حال يضيق بها صدر الشريف الرضي ، الذي تنفس الصعداء عندما ساد الرضـا ، وعـادت أجـواء الصفاء.

ولكن علاقته بالأقارب ظل التمزق يشوبها ، مما أشعره ذلك بالأسى في نفسه وهو يرى هذه العلاقـة ليس كما يريد مما عمق اغترابه في المجتمع .

وحينما تبلغ نفسه حد اليأس من إصلاح ما فسد من القرابة التي لم تفتأ تبالغ في معاداته اجتماعياً على الرغم من صورته المشرقة يتألم كثيراً ؛ لأنَّ هولاء ليسوا أعداءه وإنّما أهله ، كما أنهم لا يقـاطعون كما يقاطع غيرهم ، فهم أوصاله التي قطعها كي لا تقيم قيماً بعيدة عن العروبة والإسلام [٦٠] فيقول :

**بنَي عَمّـي ، وعَـز علـى يَمينـي ... مـنَ الضّـراءِ مَـا لقيَـتْ شِـمالي**

**أعُـودُ علـى عُقُـوقكُمُ بحلْمِـي ... إذا خَطَـرَ العُقُـوقُ لكُـمْ ببَـالِ**

**أرونـي مَـن يقُـومُ لكـم مقـامي ... أرُونـي مَـن يَقُـولُ لكُـمْ مَقـالي**

**وَمَنْ يَحمي الحَـريمَ مِـن الأعـادي ... وَمَـنْ يَشْـفي مَـنَ الـدّاءِ العُضَـالِ**

**يُشَـابحُ دُونكُـمْ يَـوْمَ المنَايـا ... وَيَرْمِـي عَـنكُم يَـوْمَ النِضَـالِ**

**سـأبلُغُ بـالقِلَى والبُعْـدِ عَـنكُمْ ... مَبَـالِغَ لَـيسَ تُبلَـغُ بـالأَلالِ**

**فَمَـنْ لا يَسـتقِيمُ عَلَـى التّصَـافي ... جَـدِيرٌ أنْ يُقَـوَّمَ بالتّقَـالي** [٦١]

ويختم حديثه عن اغترابه الاجتماعي بقوله :

**أشكُو النّوائبَ ، ثـم أشـكُرُ فِعلَهـا، ... لعَظِـيمِ مَـا ألْقَـى مِـنَ الخُلّـانِ**

**وإذا أمِنْتَ مِنَ الزّمانِ ، فـلا تكُـنْ ... إلاّ علَـى حَـذَرٍ مِـنَ الإخْـوَانِ**

**كَـمْ مِـنْ أخٍ تَـدعوهُ عِنـدَ مُلمِـةٍ ... فيكُونُ أعظَـمَ مِـنْ يَـدِ الحِـدثانِ** [٦٢]

وهكذا شعر الشريف الرضي بأنَّ معاناته جزء من معاناة أمته ، وأنَّ شقاءه هو شقاء أمته، فتعمق هذا الإحساس لديه ، بسبب تردّي أخلاق الكثير من الناس ، وانعدام القيم والمثل والمبادئ لديهم ، والتـي كانت في السابق تشكل جزءاً أساسياً من كيان الأمة الإسلامية . وإنَّ هذه الأحوال الاجتماعية السـلبية التي ذكرنا بعضها عانى كثيراً منها شاعرنا الشريف الرضي وكانت باعثاً لاغترابه عن المجتمع قـد ذكر لنا التوحيدي أغلبها إذ لم تكن جميعها بقوله : (( وقد بلينا بهذا الدهر الخالي من الـديانين الـذين يصلحون أنفسهم ويصلحون الخاوي من الكرام الذين يتسعون في أحوالهم ويوسـعون علـى غيـرهم ))[٦٣].



مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩

وبعد أنْ يعدد أخلاق السابقين وتنافسهم على صنع المحامد يقول : (( فذهب هذا كله وتاه أهله وأصبح الدين وقد أخلق لبوسه ، وأوحش مأنوسه ، واقتلع مفروسه وصار المنكر معروفاً ، والمعروف منكراً، وعاد كل شيء إلى كدره وخاثره وفاسده وضائره ، وحصل الأمر على أنْ يقال : فلان خفيف الروح ، فلان حسن الوجه ... حلو الشمائل ... حسن اللعب بالنرد ... إلى غير ذلك مما يأنف العالم من تكثيره والكاتب من تشطيره ... وهذه كنايات عن الظلم والتجديف ، والخساسة والجهل ، وقلة الـدين وحـب الفساد))[٦٤] .

هذا فقد عاش الرضي في تفاعل جدلي يتمثل باصطدام وعيه ونهجه المتفرد في الحياة ، بالقوة الغالبة والمستبدة أولاً ، وبالشعب الذي فقد مقومات الأخلاق واللياقة بعد أنْ تكبل بقيود الوهم والضلال ثانياً ، وفي ظل هذا الوضع المتردي عانى الرضي صراعاً قاسياً على مستوى الفكر والسلوك ، إذْ لم يستطع التأقلم والاندماج في ذلك المجتمع المنحل ، بعد أنْ أحس بالحيف وضـياع القـيم ، فحـاول التمـرد ومصارعة الواقع المرير بما أتيح له من موهبة أدبية ، ومقدرة ذاتية فالشـاعر المبـدع المثقـف (( شخص رافض للصورة التي عليها الحياة ( الفاسدة ) في جوانبهـا الثقافيـة والسـلوكية والجماليـة ، وبالتالي يحمّل نفسه مسؤولية إعادة صياغة هذه الصورة وإبداعها بشكل جديد وباستمرار ))[٦٥].

## الخـــــــــــاتمة

وبعد حمد الله على توفيقه قد رسا البحث ( **البواعث الاجتماعية للاغتراب في شعر الشريف الرضي** ) على جملة من الشذرات التي استقطبتها والتي يمكن الإشارة إليها بإيجاز وهي:-

ـــــــ كشف البحث عن أثر الجانب الاجتماعي بشكل جلي في ظهور الاغتراب في شعر الشريف الرضي . ـــــــ

بيّن البحث أنَّ لشيوع العادات والتقاليد السلبية في المجتمع العربي ردة فعل من جانب الرضي تمثلت برفض هذا الواقع الاجتماعي والتغني بالمثال والأنموذج الذاتي والقومي وإحياء ماهو أصيل من تراث العرب عبر مفاهيمه السابقة

ـــــــ وجد البحث أنَّ قلق الشريف الرضي واضطرابه في مجتمع مليء بالمتناقضات قائم على السلبية والظلم، فاغترب عن الناس وعن المجتمع فبعث لنا من صميم اغترابه شعراً اجتماعياً ينتقد فيه القضايا السلبية في المجتمع .

ـــــــ توصل البحث إلى أنَّ هناك عدم توافق بين الشريف الرضي والأنماط الاجتماعية ، مما أدى إلى افتقاد الوحدة مع النظام الاجتماعي فحدث ( انفصال ) ، والانفصال هو شكل من أشكال الاغتراب .

ـــــــ وجد البحث أنَّ الشريف الرضي عاش في تفاعل جدلي يتمثل باصطدام وعيه ونهجه المتفرد في الحياة ، بالقوة الغالبة والمستبدة أولاً ، وبالشعب الذي فقد مقومات الأخلاق واللياقة بعد أن تكبل بقيود الوهم والضلال ثانياً .

ـــــــ كشف البحث أنَّ الوضع المتردي الذي عاشه الشريف الرضي عانى منه صراعاً قاسياً على



مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩

مستوى الفكر والسلوك ، إذْ لم يستطع التأقلم والاندماج في ذلك المجتمع المنحل ، بعد أن أحس بالحيف وضياع القيم ، فحاول التمرد ومصارعة الواقع المرير بما أتيح له من موهبة أدبية ، ومقدرة ذاتية.

## هوامش البحث

(١) يُنظر : الإنسان بين الجوهر والمظهر، أريك فروم ، ترجمة : سعد زهران ،عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٩م : ١١٢ .

(٢) مفهوم الذات بين الطفولة والمراهقة ، د. وعد الشيخ ، دار كيوان ، دمشق ، ٢٠٠٦م : ١٦ .

(٣) المتنبي ، جورج غريب ، دار الثقافة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٩ : ٨ .

(٤) يُنظر : علم النفس الفردي ، د. إسحاق رمزي ، دار المعارف ، مصر، ط٢ ، ١٩٥٢م : ١٠٢ .

(٥) يُنظر : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، أبو منصور الثعالبي ، (ت ٤٢٩هـ ) ، تحقيق : محمد محي الدين ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط٢، ١٩٦٥م : ٢ / ٢٤٠ .

(٦) الصداقة والصديق ، علي بن محمد العباس أبو حيان التوحيدي (ت ٤٠٠ه) ، تحقيق : إبراهيم الكيلاني ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٩٦م : ٦٠ .

(٧) يتيمة الدهر : ٢ / ٢١٨ .

(٨) المصدر نفسه : ٢ / ٢١٩ .

(٩) يتظر: تاريخ الخلفاء ، للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ه) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ،١٩٥٢م : ٤٠٦ ـــــ ٤٠٧.

(١٠) يُنظر: تجارب الأمم ، مسكويه أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١ه) ، شركة التمدن ، مصر ، ١٩١٥م : ٢ / ٣٠٨-٣٠٩ – ٣٢٨ .

(١١) ديوان الشريف الرضي ، شرحه وعلق عليه وضبطه وقدم له الدكتور محمود مصطفى حلاوي ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩م : ١ / ١٤٧ .
الجنائب : جمع جنوب ، وهي ريح أيضاً تقابل الصبا .

(١٢) المصدر نفسه : ٢ / ٢٧٥-٢٧٦ .

(١٣) المصدر نفسه : ١ / ٦٦٤ .

(١٤) يُنظر: الشريف الرضي ، دراسات في ذكراه الألفية ، مجموعة باحثين . دار آفاق عربية ، بغداد ، ١٩٨٥م : ١٢٦ .

(١٥) ديوان الشريف الرضي : ٢ / ١٤٠ . ينغل : يفسد . معضل : لا شفاء له .

(١٦) المصدر نفسه : ١ / ٥٠٦-٥٠٧ .

(١٧) ينظر : الرثاء في شعر الشريف الرضي ، محمد عبد الرضا جاسم ، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٩٩٧م : ٢٨ –٢٩ .

(١٨) ديوان الشريف الرضي : ١ / ١٩٢ .

(١٩) المصدر نفسه : ١ / ٦١٩.المَاذَقَ: الشخص الذي لم يُخلِص في الوُدّ ، فيتملق ويظهر خلاف مايبطن .

(٢٠) المصدر نفسه : ٦٧/١.

(٢١) المصدر نفسه : ١ / ٣٥٦ .

(٢٢) المصدر نفسه : ١ / ٢٦٥ .



مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩

(٢٣) المصدر نفسه : ٢ / ٣٦٠ .

(٢٤) المصدر نفسه : ٢ / ٥٢ .

(٢٥) ينظر : الصداقة والصديق : أبو حيان التوحيدي .

(٢٦ ) فيض الخاطر ، أحمد أمين ،(ت ١٣٧٣هـ ) ، نوابع الفكر ،القاهرة ،٢٠١٠م :٢٤٠/١٠ .

(٢٧) ديوان الشريف الرضي : ٢ / ٢٧٤ .

(٢٨) المصدر نفسه :١٨١/١ – ١٨٢. كالحة : عابسة . مشيع : منصور ومساعد . خطب : الشأن .

(٢٩) المصدر نفسه :٤٧٧/١. الآجن الماء الآسن غير الصافي ،وعكسه الماء النمير .

(٣٠) المصدر نفسه : ٣٢٥/٢ . الضارم من صفات وتطلق على المحارب الجريء . نزائع : مفردها نزيعة ، من النجائب التي تُجلب إلى غير بلادها فتحن إلى موطنها الأصلي .

(٣١) المصدر نفسه : ٧٤/٢.

(٣٢ ) المصدر نفسه : ٢/ ١٠٩ .

(٣٣) المصدر نفسه : ١٨٦/١.

(٣٤) المصدر نفسه : ١٣٩/١ . القرن: هو القرين ، أي المماثل ، أو الذي يقترن بالآخر . الماء المرنق : الماء المشوب بالكدر .

(٣٥) المصدر نفسه : ١٨١/١.

(٣٦) المصدر نفسه : ١/ ٣٨٦.

(٣٧) المصدر نفسه : ٢/ ٧٢. أريغ : أطلب . الخلة : الحاجة .

(٣٨) المصدر نفسه : ١٣٣/٢.

(٣٩) الشريف الرضي ، د. إحسان عباس ، دار بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، (د. ت) : ٣٦ .

(٤٠) ديوان الشريف الرضي : ١ / ٢٠٨-٢٠٩ .

(٤١) المصدر نفسه : ١ / ٦٢٩

(٤٢) المصدر نفسه : ١ / ٦٢-٦٣ . أشِرَ : كفر بالنعمة وجحدها . التقالي : البغض.

(٤٣) المصدر نفسه : ١ / ٢٨١ .

(٤٤) المصدر نفسه : ١ / ٣٢٠ . القليب : البئر . لا ينزح : لا يُخرج ماءً .

(٤٥) المصدر نفسه : ٢ / ٤٦٢ . الثنآن : الضغينة والكره .

(٤٦) المصدر نفسه : ٢٠١/٢.

(٤٧) المصدر نفسه : ٥٩٤/١ــ ٥٩٥ .

(٤٨) المصدر نفسه : ٥٩٥/١.

(٤٩) المصدر نفسه : ٥٩٦/١. المناديح : الواحدة مندوحة ، السعة .

(٥٠) المصدر نفسه : ٥٩٧/١ .

(٥١) ينظر : شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد :٣٨/١ .

(٥٢) ديوان الشريف الرضي : ١/ ٥٩٦. النواقر : الكلام المسيء. الحِدَق : العيون .

(٥٣) المصدر نفسه : ١/ ٤٣٧.

(٥٤) المصدر نفسه : ١/ ٥٩٥.

(٥٥) المصدر نفسه : ١/ ٤٢٥ .

(٥٦) ينظر: الشريف الرضي( بودلير العرب) ، د. محفوظ ، منشورات مكتبة بيروت ، مطبعة الريحاني ، بيروت ،



العدد ١ – المجلد ٤٤ – السنة ٢٠١٩
مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية

١٩٣٨م :٢٠١.

(٥٧) ديوان الشريف الرضي : ٣٧٥/١.

(٥٨) المصدر نفسه : ١/ ٣٧٣.

(٥٩) المصدر نفسه : ٣٧٤/١.

(٦٠) ينظر : بحوث في الشعر العربي ، ثائر سمير حسن الشمري وزميله ، دار الرضوان للنشر والتوزيع ، عمّان ، ٢٠١٤م : ٥٩.

(٦١) ديوان الشريف الرضي : ٢/ ١٥٣ـــ ١٥٤. يشايح : يقاتل . القلى : البعد والهجر . الألال: الآت الحرب ،السلاح . التقالي : التجافي.

(٦٢) المصدر نفسه : ٢/ ٤٤٢. الملمة : المصيبة . الحدثان : مصائب الدهر .

(٦٣) الامتاع والمؤانسة ، أبو حيان التوحيدي ، تحقيق : أحمد أمين ، أحمد الزين ، لجنة التأليف والترجمة والنشـــر ، القاهرة ، ١٩٤٤م : ١ / ١٦ .

(٦٤) المصدر نفسه : ١ / ١٦ .

(٦٥) أسئلة الشعرية ،(بحث في آلية الإبداع الشعري) ، عبد الله العشـــي ، منشـــورات الاخـــتلاف ، الجزائر، ٢٠٠٩م : ١٣٨ .

## المصادر والمراجع


- أسئلة الشعرية ، (بحث في آلية الإبداع الشعري) ، عبد الله العشي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ٢٠٠٩م .
- الامتاع والمؤانسة ، علي بن محمد العباس أبو حيان التوحيدي ، (ت ٤١٠ هـــ) ، تحقيق : أحمد أمين ، أحمد الزين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،١٩٤٤م .
- الإنسان بين الجوهر والمظهر ، أريك فروم ، ترجمة : سعد زهران ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٩م.
- بحوث في الشعر العربي ، ثائر سمير حسن الشمري وزميله ، دار الرضوان للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٤م .
- تاريخ الخلفاء ، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت ٩١١هـــ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٥٢م .
- تجارب الأمم ، مسكويه أحمد بن محمد بن يعقوب ، (ت٤٢١هـــ) ، شركة التمدن ، مصر ، ١٩١٥م.
- ديوان الشريف الرضي ، شرحه وعلق عليه وضبطه وقدم له الدكتور محمود مصطفى حلاوي ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩م .
- الرثاء في شعر الشريف الرضي ، محمد عبد الرضا جاسم ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٩٩٧م .
- شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٩٦٥م .

- الشريف الرضي ، د. إحسان عباس ، دار بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ، (د. ت).
- الشريف الرضي ( بودلير العرب ) ، د. محفوظ ، منشورات مكتبة بيروت ، مطبعة الريحاني ، بيروت، ١٩٣٨م
- الشريف الرضي ، دراسات في ذكراه الألفية ، مجموعة باحثين . دار آفاق عربية ، بغداد ، ١٩٨٥م.
- الصداقة والصديق ، علي بن محمد العباس أبو حيان التوحيدي ، (ت٤١٠هـ) ، تحقيق : إبراهيم الكيلاني ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ط٢ ،١٩٩٦م .
- علم النفس الفردي ، د. إسحاق رمزي ، دار المعارف ، مصر، ط٢ ، ١٩٥٢م.
- فيض الخاطر ، أحمد أمين ، (ت ١٣٧٣هـ ) ، نوابغ الفكر ، القاهرة ،٢٠١٠م.
- المتنبي ، جورج غريب ، دار الثقافة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٩م.
- مفهوم الذات بين الطفولة والمراهقة ، د. وعد الشيخ ، دار كيوان ، دمشق ، ٢٠٠٦م.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، أبو منصور الثعالبي ، (ت ٤٢٩هـ ) ، تحقيق : محمد محي الدين ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٥م.